الأستاذة : خلدون

السنة الثالثة: دراسات لغوية

المحاضرة السادسة

العنوان: مناهج البحث اللغوي في التراث

أثارت اللغة انتباه المفكرين منذ القدم، حيث هرع مفكرو وفلاسفة الأمم السابقة في تناول الظاهرة اللغوية بالدراسة والتحليل.

أولا عند الغربيين:

الهنود: كانوا أصحاب السبق في البحث اللغوي، حيث حظي بعناية كبيرة لديهم، وكان البحث اللغوي عندهم ولد وازع ديني بالدرجة الأولى للمحافظة على النصوص الدينية المتمثلة في كتاب "الفيدا" المقدّس، ولحماية اللغة السنسكريتية من التحريف، فكانت دراستهم للغة والعناية بها شكلا من أشكال العبادة.

اليونان: بدأ البحث اللغوي عندهم في القرن السادس قبل الميلاد (6ق م) ، حيث اهتمّ الدرس اللغوي عندهم بوجه عام بطابع منطقي أكثر من الطابع الوصفي الذي ميّز الدرس اللغوي عند الهنود، وعليه اعتنى اليونانيون بلغتهم وأولوها عناية فائقة، فلم يهتموا بغيرها من اللغات ممّا أدّى بهم إلى ازدراء اللغات الأجنبية.

الرومان: لم يثبت لهم العلماء والمؤرخون أي جهد مبتكر، فمثّلوا حلقة وصل نقلت الحضارة الإغريقية، وذلك لانبهارهم بها، فكانوا مقلدين غير مخترعين، والسبب الثاني هو انشغالهم بترجمة الأدب الإغريقي إلى اللغة اللاتينية. وقد اختلفت مناهج الباحثين تبعا للأساليب

والأدوات المستخدمة، فمن يتتبّع تأريخ الدراسات اللغوية سوف يجد أنها كانت جزءا من التفكير الفلسفي القديم (نقصد اليونان / الإغريق).

عصر النهضة: في أوروبا هبت ريح جديدة على الدراسات اللغوية بحلول القرن 18 بعد اكتشاف اللغة "السنسكريتية" (1786)، فانفصلت بذلك باعتبارها فرعا خاصا من فروع المعرفة، وأصبح الاهتمام باللغة كوسيلة لمعرفة البيئة الفكرية والحضارية.

عند العرب:

لقد عرف علماء العرب أن مشكلة العلم في صميمه إنّما هي مشكلة منهج، وإذا كان العلماء في عصر النهضة الأوروبية قد وضعوا أسس المناهج العلمية وقواعدها ، فإنّ علماءنا العرب قد وظفوا ذلك في أبحاثهم قبل ذلك بقرون.

اهتم العرب بدراسة اللغة العربية منذ العصر الجاهلي (أبدعوا في وضع الروائع الشعرية)

أما بعد مجيء الإسلام، فكان حرص المسلمين على حفظ كتاب الله، خاصة بعد دخول الأعاجم وظهور اللحن والتحريف، فكان ذلك من الدوافع التي دفعت بهم إلى خلق طائفة من الدراسات اللغوية كالنحو والصرف والمعاجم ...للحفاظ على اللغة العربية من كل تشويه.

وبالتالي فإننا إذا أردنا معرفة المناهج التي استفاد منها البحث اللغوي عند العرب كان علينا أن نعرف الأغراض التي يجري البحث في اللغة من أجل تحقيقها.

فقد يهدف البحث إلى وصف اللغة بغية تقعيدها وهذا يناسبه المنهج الوصفي، وهنا نقر بأسبقية العرب في اكتشافه (مايزيد عن 10 قرون) حين جمعوا اللغة العربية وسجلوها وأخذوا يصفون ظواهرها المختلفة.

وقد يهدف إلى التعرف على مسيرتها وما أصاب عناصرها من تغيير، وهذا يناسبه المنهج التاريخي، وهو المنهج الذي وجّه أعمال اللغويين الأوربيين حتى أواخر القرن 19.

وقد يهدف إلى الوقوف على أوجه الاتفاق والتشابه بينها وبين أخواتها من أصل واحد بغية معرفة الأصل البعيد، وهذا يناسبه المنهج المقارن، وهو المنهج الذي لم يعرفه الدرس اللغوي

العربي، وذلك لعدة أسباب أهمها جهلهم لتقسيم اللغات إلى أسر لغوية فهي من مكتشفات الأوروبيين، أيضا لم يكونوا على استعداد لمقارنة اللغة العربية بأية لغة أخرى لتقديسها باعتبارها لغة القرآن الكريم.

وقد يهدف البحث إلى بيان أوجه الخلاف بين لغة وأخرى لا تنتمي إلى فصيلتها، بغية تخفيف المعاناة التي يجدها من يريد تعلم لغة أجنبية وهذا يناسبه المنهج التقابلي، وهو أيضا من المناهج التي لم يعرفها العرب رغم معرفتهم باللغات التي لا تنتمي إلى أصل اللغة العربية (سيبويه/العربية والفارسية-ابن جني/ العربية والرومية ...) وذلك لتفرغهم التام لدراسة اللغة العربية.